No. 45 – 5e Année (Mars 1936 عدد ٤٥ السنة الخامسة (اذار ١٩٣٦

نشرة شهرية

بادارة جمعية القديس منصور دي بول في القدس

BULLETIN DE LA CONFERENCE DE SAINT VINCENT DE PAUL A JERUSALEM



قيمة الاشتراك السنوي مائة مل في القدس ومائة وخمسون ملا في الخارج

ترسل كافة المخابرات بخصوص الاشتراكات باسم السيد زكريا سابيلا
القدس — صندوق البريد ٧٧١

فهرس

لِيُطبَعْ

المنسنيور يوسف مرقص

النائب البطريركي العام

اورشليم في ٢٤ شباط ١٩٣٦

مجلة مار منصور

ودعا الذين ارادهم مرقس ٣ : ١٣	اذار ١٩٣٦	من يعمل مشيئه الله ذاك اخي مرقس ٣ : ٣٤



على طريق المنفى

من بعد ولادة يسوع اكمل القديس يوسف والعذراء نواميس الرب في هيكل اورشليم وتوجها الى مدينتهم الناصرة التي غادراها منذ نحو ٦٠ يوماً وبكمال الفرح

ومزيد الابتهاج وصلا الى بيتهم الوضيع الذي طالما تاقت نفسهما الى الرجوع اليه للتخلص من مشقة الغربة وبلاياها وللراحة من بعد عناء أجل التنقل هنا وهناك.

فما كادت العائلة المقدسة تصل الى بيتها في الناصرة حتى فوجىء القديس يوسف على الفور عند المساء بالاوامر السماوية التي تلقاها من ملاك الرب قائلاً له: « قم خذ الصبي وامه واهرب الى مصر »

فما وقعت كلمات الملاك « سفير السماء » باذني القديس يوسف حتى ساد عليه سكوت واعترته حيرة لان نفسه لم تكن في تلك الليلة مستعدة لتلقي هذه الصدمة. كيف يذهب الى هاتيك الاصقاع كيف يسافر الى ذاك المنفى والمسافة من فلسطين الى ارض مصر لا تقل عن مسير اربعة عشر يوماً وفي قلل الجبال والقفار التي سيجتازها كيف يتمكن وحده ان يحمي الصبي من وحوشها وضواريها ولصوصها ومتشرديها وليس وقتئذٍ من قافلة سائرة من الناصرة الى بلاد المصريين لتسير العائلة بمعيتها وحمايتها.

وكل هذه الحواجز المهمة لم تبلبل قط افكاره ولم تقلق خاطره بل بالطاعة والانقياد اعدّ فوراً عدته للسفر. فالملاك قال له.

فاخذ الولد وامه ليلاً وغادر الوطن ثانية وسافر حالاً وكان يُرى على الطريق بيده الواحدة يحمل عصاة السفر وبالاخرى يمسك مقود الحمار الجالسة على ظهره العذراء مريم وابنها في حضنها.

ولم يسيروا مسافة صغيرة حتى اخذت مريم تجول بنظرها وهي على ظهر الدابة نظر الخوف والحذر ملتفتة الى فساحة السهول التي هي عن يمينها والجبال التي هي عن يسارها قلقة لا خوف على ذاتها من المشقة بل حذراً من وقوع الأذى بابنها واعز امانيها.

وفي ليالي تلك الاسفار الشاقة كانوا يبيتون تارة في كهف من كهوف الصحراء

واخرى في ظل اشجار النخل ولما كان النعاس يستولي على عيني العذراء كان القديس يوسف يحرس الطفل يسوع لـكنه لم يكن يتمكن من تخفيف دوي وصدى عواء الوحوش والثعالب الذي طالما اقلق بال الام الالهية والقى الهلع في قلبها وكان يلاحظ بان العذراء لم تكن تنكف عن بث الرواصد والعيون هنا وهناك لترى عما اذا كانت جنود هيرودوس قد لحقت بهم لاختطاف الصبي من حضنها.

ومن بعد سفر طال امده اكثر من اربعة عشر يوماً وصلوا عند المساء الى ارض هيليوبوليس قرب المدينة واذ كانت افكار العذراء وخطيبها لم تزل متلبدة بغيوم الماضي القريب في ليالي بيت لحم يوم طلبا الضيافة ولم يتسنّ لهما وجود مكان فضّلا المبيت تحت شجرة جميزة عند مدخل المدينة — وتسمّى اليوم شجرة العائلة المقدسة —

وفي اليوم التالي تابعوا المسير حتى وصلوا الى القاهرة وهناك استأجر يوسف بيتاً حقيراً وببساطته يماثل بيته في الناصرة.

فبهذا المسكن الوضيع قضت العائلة ايام المنفى بين مصاعب ومتاعب ليس احد يتمكن من وضعها إلا السماء وحدها.

وبعد ذلك فتش القديس يوسف على شغل به يكتسب معاش العائلة حيث البناؤن يبنون البيوت في هاتيك النواحي ليشتغل في مهنةِ النجارة.

واما مريم فكانت اشغالها تستغرق كل اوقاتها وربما اخذت قسماً من ساعات الليل لتكملة ادارة بيتها من العناية بابنها السماوي الراقد في سريره صامتاً. الى ترتيب امور منزلها. الى اعداد الطعام المتوجب للعائلة. الى غزل الثياب اللازمة لابنها. واما الصلوات والتأملات والتسابيح والمزامير فكانت من اهم اشغالها وهزيزها.

يا لها من ايام قاسية تحملت مرارتها العائلة المقدسة من فقر ارض المنفى الى

وحشة الغربة الى حرمان من تضع بهِ ثقتها وربما احيانـاً كانت تصادف امتهان كرامتها.

أما غادر ابن الله المتجسد مجده السماوي ليشفي كبريائنا بتواضعهِ؟ ويكفر عن ملذاتنا بعذاباتهِ؟ ولذا لم يذهب الى مصر بطريـق المجد والعز بل بطريـق اشواك الجلجلة.

واما مريم فما تمتمت شفتاها كلمة تمرمر بل قبلت البؤس والشقاء والتعب والحزن والفقر والاحتياج بالصبر الطويل وبالحب. لتشاركَ ولدها بسر الفداء.

ومن يمكنه ان يصف فرح قلب مريم لما اشتدت ساقا المخلص ودرج امام امه وحده بديار الغربة اول خطوة. ولما انطلق لسانه وتكلم اول كلمة وصل صداها الى مسمعها.

ان الارض ما سمعت الـكلمة الاولى التي نطق بها يسوع الصغير ابن الله انما السماء صمتت واجواق الملائـكة تهللت لما تقدم من والدته العذراء وقبلها قائلاً: باللغة السريانية الآرامية « أمي! »

وفي مساء ذات يوم من ايام المنفى الصعبة دخلت العذراء مريم مع ابنها يسوع الى غرفة النوم للراحة واما القديس يوسف فتوجه الى الزاوية المقابلة في خلوته القليلة النور المعدة لنومه الحاوية بعض ادوات النجارة والمسامير وهناك استغرق بالنوم العميق من بعد تعب النهار وما هي هنيهة حتى رأى فجأة من خلال اهدابه المطبوقة بالنعاس نوراً يسطع اكثر من نور الشمس فاستيقظ وفتح عينيه واذا بالملاك جبرائيل رئيس الملائـكة امامه قائلاً:

قم خذ الصبي وامه واذهب الى ارض اسرائيل فقد مات طالبو نفس الصبي. متى ٢ : ٢٠

— وقد عرفه تمام المعرفة اذ ليس للمرة الاولى يتقابل برئيس جند السماء —

فقام واخذ الصبي وامه قاصداً ارض اسرائيل وطنهما.

الرجوع الى الوطن

في يوم رجوع العائلة الى الوطن لم يكن من خوف وقلق يهدد قلب مريم ويوسف مثل يوم سفرهما الى بلاد غير بلادهما بل انضمت العائلة المقدسة الى قافلة من بني اسرائيل راجعة من مصر الى اورشليم وما احلى نيل الارب. بعد الشقاء والتعب! والرجوع الى الوطن بعد التشتت والمهاجرة.

وفي اجتيازهما تلك الصحراء القائلة قرب شواطىء البحر الاحمر تذكرت العذراء مع خطيبها كيف ان موسى هناك رفع عصاه ومدَّ يده على البحر فشقه ودخل بنو اسرائيل اجدادهما في وسطه على اليبس وتبعهم المصريون ودخلوا ورآءهم الى وسط البحر وكيف ارتد البحر الى ما كان عليه وابتلع جيش فرعون ولم يبقَ منهم احد.

ومن ناحية اخرى شاهدا جبل سينا الذي نزل عليه الاله بالبروق والرعود وقد استرعى انتباههما ذاك المكان القفر الذي سكن به الاسرائيليون مدة اربعين سنة بالخيم ونظرا بالاندهاش تلك البرية التي سقط عليها المن والسلوى واقتات بذلك شعب برمتهِ. ووقفا هنيهة في ذاك المكان الذي نصب بهِ موسى الحية النحاسية التي ترمز عن صليب يسوع ومن بعد سفر دام نحو عشرين يوماً بهذه التذكارات العذبة وصلت العائلة الى شاطىء الاردن في ارض الميعاد وهناك اوحى الملاك الى يوسف ليتوجهوا الى نواحي الجليل لان الاشرار لم يزالوا مالكين في اورشليم والحكم بيد المنافقين يغرفون الشر بلا كيل ولا حساب.

فاخذت العائلة المقدسة تواصل السير حتى وصلت تحت جو الجليل وهناك عمَّ الابتهاج يوم رأى القديس يوسف والعذراء مريم بلدتهما الناصرة بل سقطت

من عينيهما دموع الفرح وبدت على محياهما علامات البشر والشوق لتلك البلدة التي استحقت فيها العذراء ان يحلّ في حشاها مخلص العالم واستحق يوسف العفيف ان يكون مربياً له.

وكل ابناء الانجيل يرون بالناصرة اعذب واشهى ما يحب.

فالام المسيحية — ترى مريم نموذج الامهات بالعفاف والتواضع والشغل ومحبة الله.

والبنت — ترى الطهارة ونقاوة القلب والحشمة والعذراء توحي ذلك لها.

والشاب — يرى شرفه مع واجباته. ومريم ويوسف يربطانه بمحبة سماوية بالاله — الشاب.

ان اب العائلة المقطب الجبين حزناً الذي ينوخ تحت احمال ثقيلة. هناك يرى العرق المتصبب من جبين القديس يوسف فيتخذ من فقره غناء ابدياً.

الغني — يجد بخيراته الارضية التي يصرفها بالملذات. عملاً يحفظ له فرحاً اسمى والذ مع ابهى المكافئة وهي خلاص النفس.

أما الناصرة الرمزية التي يسكن بها المخلص.

فهي نفوسنا



من الكتاب المقدس

« سفر يشوع بن سيراخ »

لا تهمل كلام الشيوخ فانهم تعلموا من آبائهم ف ٨ : ١١

لا تقرض من هو اقوى منك فان اقرضته شيئاً فاحسب انك قد اضعته ف ٨ : ١٥

لا تشاجر الغضوب ولا تسر معه في الخلاء فان الدم عنده كلا شيء فيصرعك حيث لا ناصر لك ف ٨ : ١٩

لا تشاور الاحمق فانه لا يستطيع كتمان الكلام ف ٨ : ٢٠

لا تذم قبل ان تفحص. تفهم اولا ثم وبخ ف ٨: ٧

لا تنقل كلام السوء فلست بخاسر شيئاً ف ١٩: ٧

ان كان لك فهم فجاوب قريبك والا اجعل يدك على فمك.

لا تخاصم المقتدر لئلا تقع في يديه ف ٨ :٨

لا تشمت في موت احد اذكر انّا باجمعنا نموت ف ٨:٨

لا تمازح الناقص الادب لئلا يهين اسلافك ف ٨ :٥

لا تجادل في امر لا يعنيك ولا تجلس للقضاء مع الخطأة ف ٨ : ٩

لا تكشف ما في قلبك لكل انسان فعساه لا يجزيك شكرا ٨ : ٢٢

الى الشبان والشابات

من التعاليم الدينية

ان الروح القدس يوصي الشبان الذين يرغبون بالزواج ان يختاروا لهم ابنة تكون ليس فقط من اللواتي يمارسنَ الواجبات الدينية وينحزنَ كثيراً الى الكنائس متشحة الثياب الثمينة بل ان تكون لابسة ثوب التقوى متحلية باربع صفات وهي:

الحكمة. قلة الكلام. وخوف الله. ومحبة الشغل

اولا الحكمة—لان المرأة الحكيمة تبني بيتها والسفيهة تهدمه امثال ف ١٤ : ١

ثانياً قليلة الكلام — «لان المرأة الثرثارة الكثيرة الاحاديث والخبيثة اللسان. هي لرجلها الهادىء الآمن مثل العقبة الكثيرة الرمل تحت قدمي الرجل المسن» ابن سيراخ ف ٢٥ : ٢٧

ثالثاً خائفة الله — لان التقوى والحشمة زينة النساء وليس

يوجد «غضب شر من غضب المرأة. مساكنة الاسد والتنين. خير من مساكنة المرأة الخبيثة» ابن سيراخ ف ٢٥ : ٢٣

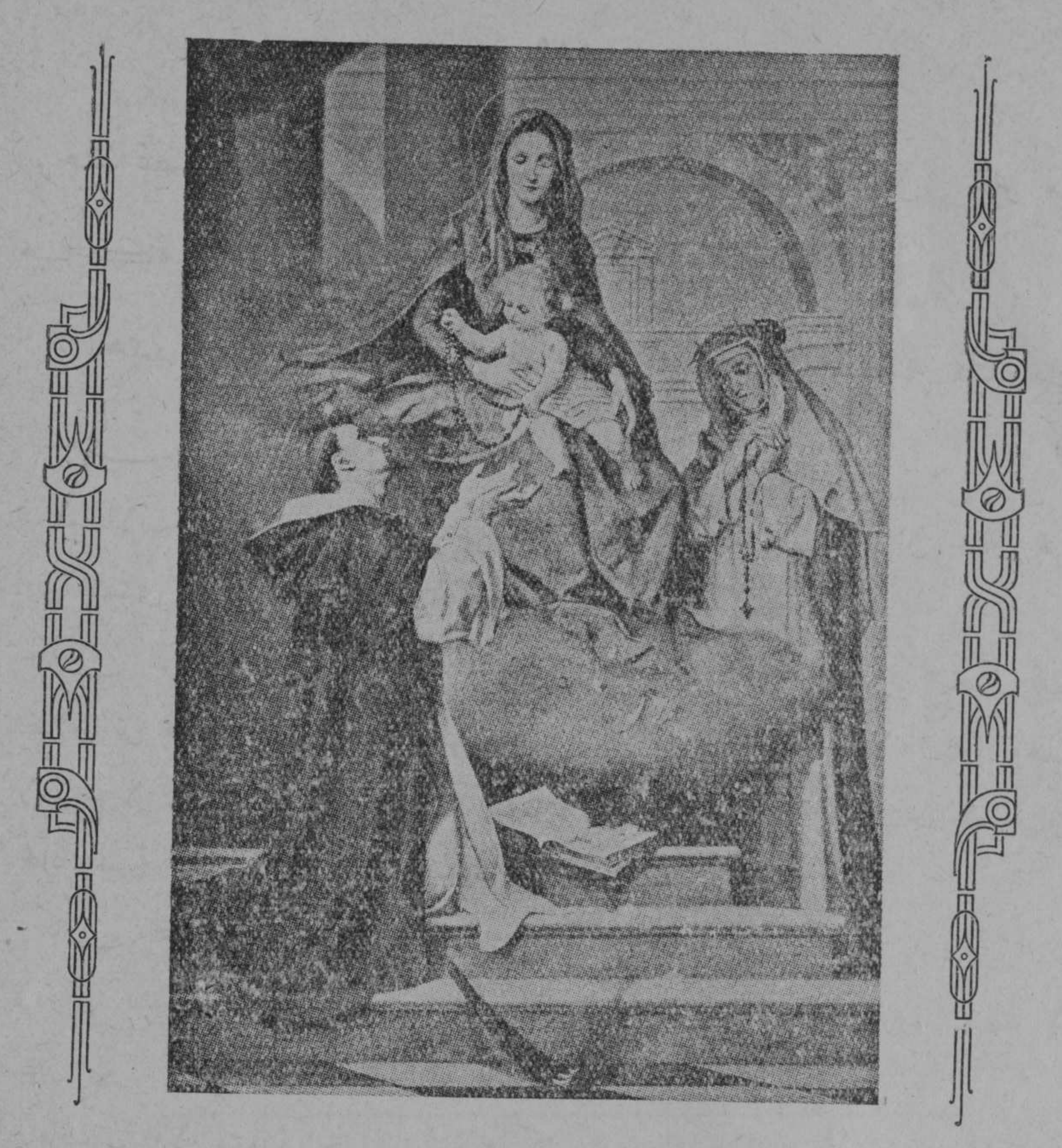
هذه وصايا الروح القدس قد جاءت في كتبنا المقدسة فلتدرسها الشبان.

اما الانسة التي تريد ان تختار عريساً لها فباول درجة يجب عليها ان تختاره من ذوي التقوى والصلاح ممارساً ديانته المقدسة.

ان الزواج ليس فقط اتحاد الحياة بين الزوجين بطريقة مؤبدة لا انفصال لها بالطلاق بل هو امتزاج روحيهما ببعضهما فتصيران كلاهما جسداً واحداً لا اثنين. وهذا الامتزاج لا يمكن ان يكون حقيقياً وكاملاً عند ابناء الكنيسة ما لم يتحد العروسان باتحاد الديانة المقدسة واسرارها ووصاياها متجملين بالفضيلة.

كان للقديسة حنه-شانتال اخت عزيزة لديها تطلب منها متواصلاً برغبة زائدة الاقتران بشاب شريف من جيرانها يطلب ان يتزوجها وعنده ثروة عظيمة لا يستهان بها

فاذعنت اولاً لمشورة اختها التي تعزها كثيراً وعزمت ان ترضى به عريساً لها لكنها اخيراً احجمت عنه ورفضت الاقتران به لما رأت من خلال ستار شباك قصرها كاهناً يحمل يوماً الزاد الاخير المقدس لاحد المنازعين وهو مرّ بقرب هذا الشاب الذي رأى الكاهن وسمع صوت الناقوس يقرع علامة لوجود القربان وما شاء ان يركع حتى ولا كشف عن رأسه ولا احناه للقربان المقدس الامر الذي دلها على ضعف ايمان هذا الشاب ونقص تقواه بقلة احترامه لسر الديانة المقدسة.



يا سيده ورديه بمباى المقدس

صلى لاجلنا

اسرار الوردية

اسرار الفرح — البشارة. الزيارة. الولادة في المهد. التقدمة الى الهيكل. وجود يسوع بين العلماء.

أثمار — التواضع. محبة القريب. الفقر. الطهارة. الطاعة.

اسرار الحزن — النزاع. الجلد. التكليل بالشوك. طريق الصليب. الموت على الصليب.

اثمار — الصلاة. اماتة الحواس. اماتة الارادة. احتمال المصائب. الصفح عن الزلات

اسرار المجد — القيامة. الصعود. حلول الروح القدس. انتقال العذراء. تكليلها بالمجد سلطانة.

اثمار — الايمان. الرجاء. المحبة. الميتة الصالحة. الثبات على الخير.

من اقوال سيدنا لويس برلسينا

البطريرك الاورشليمي السامي الاحترام

في رسالته الرعائية المؤرخة في ١٥ كانون ٢ سنة ١٩٣٦

ان المؤمنين على ممر الاجيال عظموا قدر الصوم المقدس واعرضوا فيه عن الدنيا واباطيلها ومارسوا التوبة واكثروا من الصلاة وواتروا التقرب من الاسرار المقدسة وعلى هذا النحو جددوا نفوسهم.

ما من احد يعفى من هذا الفرض ان الجميع مدعوون الى ممارسة التوبة ولا سيما خدام الله.

فالقديس بولس قضى حياته بالاصوام الكثيرة. والقديس متى الرسول ما كان يذوق اللحم بل كان يقتصر على البقل والخضر. واما المسيحيون الاقدمون الذين ثقفهم القديس مرقس فكانوا يأكلون الخبز والملح والزوفى. وكان بعضهم يطوي ٣ ايام او اربعة.

ولم يمارس الاصوام والتقشفات النسّاك وحدهم والمؤمنون الاتقياء. بل مارسها ايضاً الكبراء والعظماء. كالملك يوستينيانوس الذي كان يقتصر في يومين من الاسبوع على اعشاب متلوتة بالخل. وكارلوس الكبير اصبح من كثرة الصوم ضاوياً ناحلاً.

واخص المواضيع التي يجدر بنا ان نتأملها في وقت الصوم. حياة يسوع المسيح. وآلامه. وموته وقيامته اللذين هما خاتمة الصوم. ومنبه لنا على الموت والقيامة اللذين هما خاتمة حياتنا.

عار عليكم ايها المسيحيون ان كنتم تنجذبون الى امثال المسيحيين الرديئة وتقتدون بمن ليس لهم من الدين المسيحي سوى الاسم.

فالصوم هو سنّة الهية «ان لم تتوبوا جميعكم تهلكون»

كلنا خطأة ما من احد خالٍ من وصمة وان عاش على هذه الارض يوماً واحداً فقط.

ولا تنسوا ايها الابناء الاعزا. قصر العمر الذي وهبه لنا الله لكي نتفقه في اكتساب السعادة الابدية.

ولا تنسوا ان دينونة الله واقفة لنا بالمرصاد ولعل وقت حلولها قريب اكثر مما نتصور.

ان الله عزّ وجل يسبغ عليكم هباته لان الشعب التائب يكثر لديه البرّ والخمر والزيت فيأكل ويشبع «يوئيل»



جمعية القديس منصور دي بول

في حيفا

تلقينا من عمدة جمعية القديس منصور دي بول في حيفا تقريرها السنوي عن سنة ١٩٣٥ من الداخل الى صندوقها من النقود والخارج منه.

فكان مـا توزع من ثمن اعاشة. ورسوم مستشفيات. ومساعدات نقدية في سبيل الزواج. وسفر الغرباء. واجرة منازل. وراتب مدارس. وثمن البسة. ورسوم دفن موتى. وحسنة جنازات ما بلغ ٣٨٢ جنيهاً فلسطينياً. حيا الله ابناء المروءة !

ان القديس منصور وان غاب عنا الى عالم اللانهاية فهو لم يزل معنا في شخص رهبانه ومرسليه. وراهباته بنات المحبة. وابناء جمعياته العلمانية الضاربة في انحاء العمور يغوثون الفقير. ويساعدون المحتاج مخففين عن البشرية جهد المستطاع ويلات هذا الدهر وبلاياه.

اعطِ اللهمّ معونتك لابناء مار منصور دي بول ليواصلوا الجهود في حقل انجيلك واسمعهم صوتك العذب القائل:

طوبى للرحماء

اخبار متفرقة

اكتشاف اثري بالقدس

اكتشف في القدس على طريق القديس اسطفان حجر اثري من العصور الاولى للمسيح كتب عليه باليونانية عبارة تحذير للزوار المسيحيين من دخول ساحة المعبد اليهودي. وقد نقلته الحكومة الى دار الآثار بحراسة الجنود.

الكردينال سنشرو

نعت المحطات اللاسلكية في الفاتيكان صاحب النيافة المثلث الرحمة الكردينال لويس سنشرو امين السر لمجمع الكنيسة الشرقية المقدس لفظ روحه الطاهرة في ٨ شباط عن ٦٦ عاماً. وقد كان رحمه الله من اعلام علماء القانون الكنسي. وبذل في سبيل كاثوليك الشرق مساعٍ خيرية كثيرة

لبنان

هبت العواصف في منتصف هذا الشهر على شواطىء البحر في لبنان وسقط السيل مدراراً وتدفق في شوارع بيروت واحدث اضراراً جمة بالبيوت والبساتين وتساقط الثلج على الجبال بغزارة

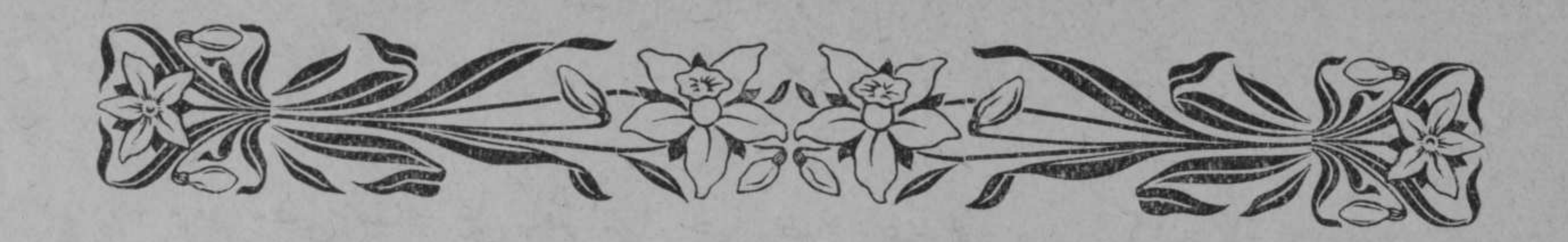
والمراحم الالهية جادت بالغيث على القطر الفلسطيني من بعد جفاف طال امده ادى الى الاحتياح لمياه الشرب وسقي المزروعات. وخشي منه تلف الخضر والفواكه.

عدد سكان الارض

يوجد مليار وخمساية مليون من البشر على سطح الكرة الارضية يموت منها في كل سنة نحو ٣٣ مليون على تعديل ٩٢ الفاً يومياً.

القديسة سيسيليا

بقدر ما انشغفت القديسة سيسيليا بكلام الرب يسوع ظلت تحمل على صدرها كتاب الانجيل المقدس طول ايام حياتها. ولم تكن تتخلى عنه قط لحظة.



روايه العدد

بلاسيد وباسمه

وما جرى لهما من الويلات

كان بلاسيد شاباً في العقد الثالث من عمره. طويل القامة. رشيق القد. قوي العضلات اسمر الوجه. حسن الطباع ولطيفها. ذكي الفوائد. شديد الحرص على المصلحة الموكولة اليه. وكان يشغل وظيفة قائد في عسكر الرومان قد تفانى بخدمة ملكه تيطس باورشليم واذ لم يكن كباقي عبدة الاوثان بقبح السيرة نال حظوة لدى ملكه فاستحق منه الثناء عليه. وكثيراً ما كانت تبالغ الجنود بمدحه لكثرة كرمه. ولطف معشره.

ومن بعد انتهاء حصار المدينة المقدسة وهدمها واعمال السيف في نحور اهلها. واضرام النار في منازلها رجع قواد الرومان الى روميه فرجع هو معهم وكان ذلك في اواخر الجيل الاول للمسيح.

وفي عودته تعرف بسيدة آية بالجمال وحسن الخصال من اشراف بنات الرومان . ذات بشرة تتحير بين لوني الفجر والصباح. وهي من اجمل الالوان شعرها مسترسل على اكتافها بلون ذهبي وكانت في الخامسة والعشرين من عمرها اسمها باسمة وابتسامة اللطف لم تكن تفارق شفتيها واذ اخذت بمجامع نفس بلاسيد احبها واحبته وجاهر بحبه. اياها مجاهرتها بحبها اياه فتزوجها.

وما مضى سنة على اقترانهما حتى صار عندهما صبي كأنه البدر المنير سمياه كابي. ومن ثم في او اخر السنة الثانية وُلد لهما صبي آخر سمياه تابي. وهذا لايقل جمالاً عن اخيه وبهذين الولدين تضاعفت المسرات وخيمت السعادة في دارهما

ولما كان بلاسيد غير واثق بديانتهِ الوثنية لوضوح ضلالها. وبيان فسادها. وزندقة روسائها. وكان الدين المسيحي في عهد بدايته في هاتيك الربوع اخذ يدرس مبادىء ديانة الانجيل وتعاليمها واذ وجد بها الحكمة والتمدن والكمال والشرف والرفعة والحق. اتصل بنعمة اتته من العلاء جحود ديانة اجداده لاعتناق ديانة الانجيل الشريفة فاعتمد بالماء والروح وبدل اسم بلاسيد باسم اوستاك عند كاهن النصارى من بعد ان تعلم قانون هذه الديانة ورتبها واسرارها. واوامرها ونواهيها.

ويا ما اشد ما كان حبوره يوم رأى زوجته باسمة تقتفي اثره مع ولديها ويطلبون سر العماد وينضمون الى عبادة سر الثالوث الاقدس بالاله الواحد وهي امنية تمناها وعمل لتحقيقها.

ولما تعمدت العائلة باجمعها تضاعفت المحبة فيها وازداد الاغتباط بين افرادها. وترنموا باجمعهم بكنارة داود تسبحة للرب.

ولما اتصل بالملك خبر تنصر بلاسيد استدعاه ووبخه ووالى عليه الاسئلة ليحرجه واذ فشل قال له: ان اجتهادك بخدمتي وامانتك لي لا تمكنني ان اذيقك أذىً ومذلة. وحيفاً وجفاء بل استعمل في قصاصي لك اقصى مراحمي معك. وهي نفيك من هذه البلاد لئلا تغضب الالهة عليّ وعلى مملكتي لانك جحدتها وكفرت بها يا لفظاعة عملك فارحل سريعاً من هذه الديار.

اما بلاسيد فعوضاً عن ان يصفرّ وجهه غيظاً لتجرده من وظيفته العالية

وسقوطه من منصبه السامي خرج من امام الملك باسماً ابتسامة الشكر للمولى الذي اعطاه القوة ليثبت بهذا الايمان واعدّ للسفر اهبته ليغادر البلاد قاصداً ربوع المشرق في ارض افريقيا مع عائلته المحبوبة.

وكانت يومئذٍ سفينة راسية في مرفاء مدينة اوستيا بايطاليا مستعدة للسفر فاتى وساوم ربانها على اجرة نقله مع زوجته وولديه وسافروا فوق مياه هادئة تحت جوٍ صافٍ

وفيما هم سائرون بمأمن من العواصف والارياح وغضب البحر والابعاصفة شيطانية اضرمها الشيطان اللعون بقلب ربان السفينة عاصفة عشق وهيام لباسمة العفيفة ملاك الحشمة والادب ونموذج النساء بحفظ العهود والوفاء.

وكانت كلما زادت باسمة لهذا الشقي مقتاً ونفوراً وهرباً واحجاماً ازداد هو هياماً ولؤماً وخباثة. واذ رأى منها كل هذه الانفة والابتعاد اوحى الشيطان الرجيم لقلب هذا الوغد اللئيم ان يختطف نجمة الصبح هذه. وابتدأ يدير دفة سفينته الى ناحية الشطوط وما هي ساعات الا والسفينة على شاطىء احدى البرارى القفرة بافريقيا.

وهناك تقدم هذا الشرير وسأل اوستاك ان ينزل مع عائلته لانه اوصله الى الناحية المتفق عليها.

ولما لم تكن هي الشطوط التي قاوله عليها تعجب اوستاك اولاً وتحير ثم سأله بلطف مواصلة السير ولو بعض ساعات ليصل الى شطوط مأهولة فأبى الربان ذلك وانتهره بسرعة النزول واذ رأى الاذعان لارادة الربان انفع من استعمال القوة والعنف اقتبل هذه النكبة بالتسليم وفتح محفظة نقوده وقدم اجرة السفر التي عليها قد اتفق.

فارسل الربان الى المبلغ المقدم نظرة احتقار ورشقه باقسى الكلام واغلظ

العبارات طالباً منه ضعف اضعاف القيمة. واذ كان مع اوستاك شيء من النقود يزيد عن الاجرة فاضافها حارماً نفسه منها متحاشياً ان يمثل دور قتال مع عدد من البحرية في وسط المياه.

فما ارتضى بها الربان بل بعنف وبخه لاقدامه على سفر وهو لا يملك اجرة الطريق وبهياج عجيب نعته باللص المحتال والمتشرد الكذاب وقال له: تبقى زوجتك في سفينتي رهينة عندي تشتغل وتفي ما ترتب عليك من اجرة السفر وبعد ذلك اطلق سراحها. فساد اوستاك سكوت لدى هذا الكلام طير عقله! ورماه باشد التحير.

فيا لها من ساعة مهولة على قلب باسمة النقي!

واذ اعطى الربان علامة لرجاله هبوا بعددهم الكثير وبغلاظة فطرتهم وشراسة اخلاقهم. انزلوا اوستاك من السفينة بسرعة البرق ورموه على اليابسة واتبعوه بولديه. وهموا بالسفر.

فصاحت باسمة عندئذٍ محترقة بنار الغيظ واسرعت الى حافة المركب لتطرح نفسها بالماء من الناحية التي فيها زوجها وولداها غير مبالية بسلامتها مفضلة موتها تحت نظر عائلتها من بقائها بين ايدي رجال الزندقة فاسرع البحرية. واستلقوها بزنودهم القوية. غير مبالين لصياحها وحزن نفسها وربطوها.

اما هذه الام المحبوبة والزوجة الصالحة فدارت نظرها نحو عائلتها وصاحت بصوت حزين وقلب كئيب وعيون دامعة وشعر مبعثر ووجه مصفر وقوى خائرة وحنين يرق له الصخر قائلة: دعوني برهة اودع نور عيني واطبع اقلما على جبهة ولديّ قبلة الام المفارقة الولد اسمحوا لي ان اقتبل من فلذة كبدي اخر نظرة واهزّ هزة الاشفاق والوفاء يد رفيق حياتي. رقوا لحزني وظلمي يابشر ان كنتم بشر ورفعت يديها الى السماء.

واذ سمعها ابناها. ناحا بقلب مقطور وخاطر مكسور وشقاء ليس بعده من شقاء وتأوها تأوه المظلوم وناديا: ايا امي اين انتِ!! فبكى اوستاك بكاء السائر الى الموت. وصاح الى السماء باعلى صوت طالبا حماية زوجته من يد الأذى. ومداركتها من كثرة الشقاء.

واذ رأوا السفينة تخرق عباب البحار ظلوا يتابعونها بعيونهم واحزانهم وعـا انهم حرموا من توديـع امهم وتقبيلهـا فقد ودعوهـا بعواطف نفوسهم المتألمة ودموعهم المتصببة وما هي هنيهة الا وغضب البحر وهاج كأنه استنكر هذا العمل الفظيع فتلاطمت عواصفه وكادت السفينة تغرق فاخذ الربان وبحريته يتدار كون مركبهم من الغرق لاهـين عن تعذيب باسمة تاركينها وشأنها غارقة باحزانها عند مؤخر المركب تبكي.

اما الولدان فلدى مشاهدتهما السفينة تدور بها الامواج يميناً وشمالاً منذرة بخطر الغرق وقفا رغمـاً عن قواهما المتهدمة وجالا بنظرهما نحو البحر واستعطفاه بقلب يائس ليس فيه من رجاء قائلين:

« يابحر هدّي الموج فيك امنا !! »

وبعد زوال العاصفة هدأت الامواج وهدأت ثورة اعصاب اوستاك وولديه من بعد ان كانت قد تلاشت قواهم.

فقام عندئذٍ الوالد باحترام وقبّل ولديه بحنان ووقار ومشى بهذه القافلة الصغيرة مخترقـاً الفيافي والقفار والمروج المزروعة ذرة وشمامـاً وبطيخاً وباذنجانـاً ولوزاً وخروبـاً بطرقات غير ممهدة كثرت فيها آثـار الثعالب والذئاب والفهود والنمور وظلوا يواصلون السير بانقبـاض القلب واذ حل التعب بولديه. حملهما على منكبيه حتى وصل الى نهر عجاج لا معبر له الى الناحية الاخرى فانزل الولدين عن كتفيه وقطع عصاة طويـلة من ذاك الغاب واخذ يخوض بها ويجسّ فيها عمق

المياه من هنا ومن هناك الى ان تيسّر له وجود مكان فيه صخور تعلوها المياه قليلاً وتقرب من بعضها وعليها يستطاع العبور مع قليل من المشقة.

واذ لم يتمكن ان يعبر النهر وهو حامل الولدين معاً وضع كابي اولاً على كتفه وترك تابي على الشاطىء ليرجع فيأخذه من بعد ايصال اخيه الى الشاطىء الثاني فمن بعد ان خاض النهر واوصل كابي عاد لجلب الاخر وبينما هو في وسط المياه ويا للهول! جاء ذئب كامن وراء الصخور وانقض على تابي ومسكه وهرب بهِ بسرعة فصاح كابي شفقة على اخيه واذ التفت الاب رأى الولد بفم الذئب وما انهى خطواته من المياه وسار وراءه حتى كان الحيوان تغلغل في تلك البراري واذ افتكر اوستاك بشدة خوف كابي رجع حالاً متجهاً اليه وبينما هو في وسط النهر يطيب خاطر ابنه كي لا تؤثر فيه عوامل الخوف من الوحوش وقد اصبح بقربهِ والاّ يا للداهية! تقدم ثعلب عتيق من طائفة بنات آوى الاكثر قوة واحتيال وتناول كابي ورماه على ظهرهِ وبسرعة كلية اجتاز تلك الوادي هارباً.

فما خرج اوستاك من مياه النهر حتى كان الثعلب ياللمصيبة !! قد اختفى به بتلك الغابة الكثيفة وبساعة واحدة فقد ولديه الذين كانا يماثلان زهر الربيع بشهر نيسان.

فاصبح عندئذٍ اوستاك ببرية عارٍ عن زوجته وولديه يبكي ولو كان للصخور قلب لكانت رقت لطول نوحهِ.

والعجيب انه ظل ثابتاً بايمانهِ. ولم يفقد شيئاً من رجائهِ متكلاً على عناية الله وتابع مسيره مسافة يومين الى ان وصل الى قرية صغيرة وكان اول سيد وطئت قدماه تلك البلاد الحقيرة. فاستقبله رجل فلاح وهو المتقدم فيها فقدم اوستاك ذاته لخدمة الفلاحين محتملاً تعب الشغل واهانة الخدمة وبقي عندهم مدة ١٥ سنة كاتماً حاله واحواله وما جرى له في حياته.

واذ مات ملك الرومان وجلس تراجانوس الملك مكانه وهو صديق كبير لبلاسيد وقد اختبر شجاعته بالحروب وكانت المملكة اذ ذاك على خطر من ثورة البرابرة والاشقياء الذين حيّروا السلطة في ما تصنع لقطع دابرهم فارسل هذا الملك رسلاً جنوداً يفتشون على بلاسيد ليتولى قيادة جيش المملكة.

ولم تمضِ الايام حتى وصل الى القرية التي يقطنها بلاسيد اثنان من الجنود المرسلين للبحث عنه وحلاَّ في ذاك البيت فعرفهما لانهما كانا من جنوده أما هما فلم يعرفاه وقد بدّلته الايام بمرارتها. ووشحته ثوب فلاح حقير. فاخذ الجنديان يخبران كيف ان الملك انفذ جنوده في كل الانحاء للتفتيش على بلاسيد ليسلمه قيادة الجيش وكم مدحا سجايا زوجته باسمه ومحاسنها الادبية وجمالها.

فهاجت عندئذٍ عواطف بلاسيد وباحت باسراره دموعه اذ تذكر مصائبه وبلاياه. فقال احد الجنود للآخر همساً ما اشبه هذا الفلاح بقائدنا.

واذ كان بلاسيد موسوماً بجرح طعنة رمح في عنقه اثناء الحروب السالفة وهما يعرفان ذلك. جددا النظر فيه اولاً واذ وجدا تلك السمة اصبح ظنهما يقيناً وسألاه ان يقول الحق. فاقرّ بالحق وذهب معهم لمقابلة الملك من بعد ان ودع فلاحي تلك البلاد بالشكر والثناء.

فلما وصل اوستاك بين يدي الملك هش له وبش ورحّب به مسروراً وعينه اكبر قائد لجنوده وامره ان يتوجه سريعاً لاخماد الثورة وقتل الاعداء.

فسافر اوستاك بعدده الحربية وبوقت وجيز ارهق المشاغبين بالفاقة واعمل فيهم الضرب فاستسلموا سريعاً.

ولما كان هذا القائد البطل قد احتاج وقتئذٍ الى عدد من الرجال ليضمهم الى عسكر الحرب انفذ الاوامر الى القرى لتقدم اشدّ رجالها لمساعدة الدولة بالتقاط الاشقياء. فهبط رجال القرى من كل ناحية وانضموا الى الجنود وحاربوا ببأس

وقوة في معركة عظيمة تجلّى بها انتصار جيش بلاسيد ومن هولها صار التسليم.

وفي غضون هذه الموقعة وقع بصر بلاسيد على اثنين من شبان القرى في فئة المحاربين يلمعان بجمال ساحر وبسواعد مفتولة ينقضان بطلعتهما الفتانة على الاعداء كانفجار القنابل بشجاعة الاسود. فتقدم وقبّل بفرح جبين الاول ومن ثم جبين الثاني وهنأهما على هذه البسالة وامر لهما بمعاش شهري لا يستهان به.

وفي احدى الليالي اجتمع هذان الشابان في خيمتهما العسكرية واتفق ان سأل الواحد الآخر عن وطنه واسمه وحوادث حياته كما يجري ذلك بين الجنود من المحادثات وقت الفراغ.

فاخذ كابي يورد خبر حياته لاخيه الذي لم يكن يعرف انه اخوه قال: جئت بسفينة مع امي وابي على شطوط هذه البلاد فطرحنا الربان بغلاظة على الشط وسافر بوالدتنا عنوة فاخذني والدي مع اخي الى ان وصلنا الى نهر عجاج واذ حملني على ظهره ووضعني على الشاطىء الآخر جاء ذئب واخذ اخي فاسرع والدي ليخلصه فكان الذئب قد توارى. ثم اتى ثعلب وعضني باعلى كتفي ومن ثم رماني على ظهره فتبعه والدي. وما غاب هذا الحيوان في اقصى الوادي حتى فوجىء بفعلة يشتغلون بتلك الارض واذ سمعوا صياحي ركضوا بعصيهم وخلصوني من انيابه واتوا بي الى منزلهم فصرت اخدمهم وسكنت عندهم الى ان صدرت الاوامر اليّ فالتحقت بالجيش. ألا تجد بهذا ما يؤثر؟

فلما سمع اخوه هذا قال بفرح. انا هو ذاك الذي وضعه والدنا على الشاطىء واتى الذئب وانتشلني فخلصني منه الحطابون وبقيت عندهم ارعى مواشيهم انت اخي كابي !! وانا اخوك تابي !!

فاغرورقت عيناهما بالدموع وطفح قلباهما بشراً ووقفا يهللان في حفلة التقائهما كأنهما في حملة من حملات الفتوحات ونشبت بينهما معركة قبلات حارة

سقط فيها كلاهما متلاشيين من نشوة الفرح والحب والطرب.

ولما شاع خبر هذه الحادثة بين العسكر وتناقلتها الالسن اتصل الخبر بباسمة التي كانت عناية الله قد اوصلتها الى تلك البلاد وطريقة وصولها هكذا كانت:

من بعد سفر السفينة بها جلست على انفراد تذرف الدموع وتبتهل بعواطف قلبها لتتخلص من هذا الدنيء القذر. ولما هاج البحر سقط الربان ميتاً بغتةً وظل البحارة بمركبهم سائرين حتى اوصلوه الى اول مرفاء بتلك الشطوط وهناك خرجت سالمة من اعتداء السافلين الذين تلهوا بموت ربانهم ومضادة الريح لهم. وقدمت نفسها للخدمة بتلك المزارع تحت عناية الله واهتمامه.

واذ سمعت بقصة هذين الشابين اسرعت مبهوتة الى احد الجنود وسألته ان يقدمها للقائد فاهتم الجندي لامرها واوصلها اليه.

أما هي ففقدت اولاً شجاعتها رغماً عن جرأتها وشعرت بضعفها. ولا عجب فان اشجع النساء يتسرّب الخوف الى قلبها اذا ما رأت نفسها محفوفة بفرقة جنود فرطبت طرف شفتيها برضاب لسانها كمن يريد ان يتكلم ثم عادت فسكتت.

وما هي هنيهة حتى استعادت قواهـا وقالت بصوتها الحزين وقواهـا المتهدمة وثيابها الرثة: ان كنت انت قائد ووزير. فانا ابنة امير.من شريفات روما.في يوم واحد خطف مني زوجي وابناي منذ ١٦ سنة ولم اهتدِ اليهم ولا عرفت ماذا جرى لهم فأسألك ايها القائد ان تراعي عواطف الاشراف وترحم ذلي فتأمر بالتفتيش عنهم بين جيوشك. فاسم ابني البكر كابي. واخوه اسمه تابي عمر الاول ٢٢ سنة والثاني ٢١ سنة اما زوجي فكان يدعى بلاسيد وسمّي فيما بعد اوستاك. وانا اسمي باسمة. ومن بعد فراق زوجي وولدي دعيت عابسة.

واذ كان كابي وتابي حاضران بين الجنود. هبّا هبة الملهوف وبالحنين والشوق انطرحا على والدتهما المحبوبة يقبلان يديها وعينيها متنهدين تنهدات الفرح. ثم اخبراها

بالدموع ما جرى لهما في وحشة غربتهما.

أما هي فانثنت بجنون الحب الوالدي وسكب العبرات الساخنة تقبلبلهما بلذة الام في تقبيل الولد.

ولما انجلت كل الغوامض لدى اوستاك ولم يعد للريب مجال بان هولاء هم زوجته وولديه طرح سيفه وبعظمة القواد تقدم واخذ بين كفيه وجه باسمة الطاهر وقبله ثم تنفس الصعداء ومسح دموعه. وضم الولدين الى صدره وقلبه شاكراً الرب القدير على جمعهِ شمل عائلة تبددت ايدي سبا.

وظل حيناً باسطاً يمينه على كتف كابي وشماله على كتف ثابي وهو يقص عليهم ما صادف من الويلات والاهوال.

وبعد ذلك على ظهور الخيول المطهمة توجهوا الى المدينة ومن امامهم وورائهم تسير الجنود الكثيرة العدد حتى وصلوا الى دارٍ اعدت لهم ودخلوها مترنمين ناشدين سر اجتماعهم العجيب وصبرهم الطويل سابحين بشعورهم الرقيقة وقلوبهم النقية في عالم الخيال!

« هذه الحادثة هي حقيقة تاريخية وان البست ثوباً روائياً »



مطبعة رانزبورد. القدس

محرر المجلة: البرديوط شكرالله صفير